النظرية السياقية وأثرها في توجيه المعنى المراد عند الجرجاني (ت: 471هـ)

م.م زينة كريم علوان

الملخص

يعد السياق المحيط الملموس الذي تستعمل فيه الكلمة، فهو يعين على نظم الكلام وترتيبه، وبيان معانيه، ويساهم مساهمة فعالة في تكوين المعنى وإيصاله إلى المتلقي. والجرجاني يعد من رواد هذا النظرية ، فهو يرى أن القصد ليس بتتابع الألفاظ في النطق؛ بل بانسجام وترتيب معاني الألفاظ ودلالاتها، ذاكرًا هذا بأكثر من نص على الوجه الذي اقتضاه العقل، ومن هنا قسمت الدراسة على تمهيد ومطالب وتتبعها خاتمة.

تناولت في التمهيد: دلالة السياق عند علماء اللغة والاصطلاح، وتمثل المطلب الاول بـ: سياقات الجمل المؤكدة، والمطلب الثاني: سياق الاستثناء بإلا، والمطلب الثالث: السياق المقامي، والمطلب الرابع: سياقات الإضمار والحذف، والمطلب الخامس: سياقات التراكيب والمعاني، وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Abstract

The context is the space in which the word is used. It helps to formulate and arrange the speech, clarify its meanings, and contribute effectively to forming the meaning and communicating it to the recipient. Al-Jurjani is considered one of the most important adherents of the context school. For him, the intended meaning is not the sequence of words in pronunciation; Rather, it is based on the harmony of the meanings of the words and their connotations. The study was divided into an introduction and prompts followed by a conclusion.

Introduction: The significance of context according to linguists and terminology scholars. The first requirement: contexts of affirmative sentences. The second requirement: the context of exception except. the study

النظرية السياقية وأثرها في توجيه المعنى المراد عند الجرجاني (ت: 471هـ)

م.م زينة كريم علوان

مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْيَتْ بَلَاغَتُهُ الْبُلَغَاءَ وَأَعْجَزَتْ حِكْمَتُهُ الْحُكَمَاءَ وَأَبْكَمَتْ فصاحته الخطباء، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الظَّافِرُ مِنَ الْمَحَامِدِ بِالْخَصْلِ الظَّاهِرُ بِفَضْلِهِ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ مُعَلِّمُ الْحِكْمَةِ وَهَادِي الْأُمَّةِ وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ، وبعد..

لا ريب ولا جرم أن من أهم المتصدين لخدمة كتاب الله المنزل إمام البلاغة والنحو عبد القاهر الجرجانيّ (ت 474هـ) الذي عرف بنسيجه البارع، وبتأليفه الباهر، وبأسلوبه الشائق؛ وذلك لإحاطته بعلومِ العربيّةِ من لغة وبلاغة، فضلاً عن دقته بانتخاب الالفاظ والمعاني بأبهى حلة، وأروعِ بيان، وأنجعِ تأثير، محققًا في ذلك أعلى درجات الفصاحة ألا وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال. ولعل أهم ما يميزه عن سواه من العلماء أنه مَزَجَ بين علمِ النَّحْو، وعِلْم البَلاغَةِ بصورة إبداعية قل نظيرها، فقد وظف النظرية السياقية بالمعنى بطريقة تحليلية ملفتة، وهذا لم يألفه أحد من العلماء.

أما المنهج الذي اعتمدته في الدراسة هو المنهج الوصفي، وقد قسم البحث على تمهيد ومطالب عدة ، وخاتمة، تناولت في التمهيد: دلالة السياق عند علماء اللغة والاصطلاح، وتمثل المطلب الاول بـ: سياقات الجمل المؤكدة، والمطلب الثاني: سياق الاستثناء بإلا، والمطلب الثالث: السياق المقامي، والمطلب الرابع: سياقات الإضمار والحذف، والمطلب الخامس: سياقات التراكيب والمعاني، وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

التمهيد

دلالة السياق

يعد فيرث أول من أطلق مصطلح المنهج السياقي في مدرسة لندن، الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة[1]، إذ لابد لنا من القول إن الجمل تبقى ناقصة، مالم يؤطِّرها سياق وعلى المتلقي الوصول إلى مراد المتكلم، وفهم مقاصده سواء أكانت تلك المقاصد لفظية أم معنوية، وأيضًا لابدَّ لكل نص أو رسالة من سياق معين تقال فيه، ومعنى تُحيل عليه، فضلًا عن عدم نجاح التواصل ما لم يحصل السياق فيه على قيمته ومكانته الصحيحة؛ لأن برصانة المرجع ومتانته تتم إزالة الشوائب عن الألفاظ، وليتم فيما بعد من

---

[1] ينظر: علم الدلالة، احمد مختار عمر: 68.

إيصال المحتوى إلى المرسل إليه والتواصل معه بشكل سليم ودقيق. ولبيان أكثر لا بدّ من الوقوف على دلالة السياق لغة واصطلاحًا.

السياق في معاجم اللغة العربية معناه: ((أصل السياق "سِواق" فقلبت الواو ياء لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق. وساق الإبل وغيرها يسوقها سوقًا وسياقًا، وتساوق أي ما تتابع، و المساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا)).[2]

أما مصطلح السياق(contexte) في الدراسات اللسانية الحديثة يعني:((المضمون الذي يمثله المرسل إليه، وهذا المضمون يكون إما لفظيًا أو قابلًا لأن يصير كذلك)).[3]

وقد زاد جاكبسون إلحاحًا على السياق؛ لأنه العامل المفعل للرسالة بكل ما يمدها به من ظروف وملابسات توضيحية.[4]

السياق هو الآخر شأنه شأن عناصر التواصل الأخرى له مسميات عدة منها "المقام".[5] ويسمى عند جاكبسون "المرجع"((حيث لا يمكن للمرسلة أن تُفهم أو تُنفذ إلا ضمن سياق نردها إليه، ويمكن فهمه من قِبل المتلقي)).[6] وعملية التواصل كما ذكرها صالح بلعيد، أنَّها عملية ترتكز على عدة عناصر ديناميكية، ودائمة الحركة والتفاعل فيما بينها ويحدها زمان ومكان وظروف معينة، فضلًا عن أن هذه العملية تستعمل لأغراض متنوعة، فتارة تستعمل للإخبار، وتارة للتخيل والتعبير عن المشاعر والعواطف، وتارة أخرى تستعمل للتأثير في الآخرين والاستجابة لتوقعاتهم.[7]

فكل ما ورد ذكره في العملية التواصلية مسبقًا من أغراض وتفاعل بين العناصر والمشاركين فيها، هو "سياق": ((المحيط الملموس الذي تستعمل فيه الكلمة)).[8] وكما سبق لا يتم تحقيق التواصل، ولا نجاح المرسلة وارسالها ما لم توضع في سياق علمي محكم ومنظم سواء أكان سياقًا لفظيًا(لغويًا)، أم مقاميًا. والجرجانيّ نفسه قد تحدث عن أهمية السياق وإن الكلام لا يمُت بفائدة إذا كان مبعثرًا ومجزَّأً؛ بل يكون مفيدًا إذا نبع من ترابط وتلاحم بين أجزاء الكلام ومستوياته الصوتية والنحوية والدلالية وقال هذا في موضوع "الفرق بين حروف منظومة، وكلِم منظومة"، والمراد ((أن "نظم الحروف" هو تواليها في النطق، وليس نظمُها

---

(2) لسان العرب: 10/166-167؛ وينظر: أسرار البلاغة، الزمخشري، 1/484.

(3) اللسانيات ونظرية التواصل: 38.

(4) ينظر: التواصل اللساني والشعرية،30.

(5) مدخل الى اللسانيات التداولية: ترجمة محمد بحياتن، 41؛ وينظر: لسانيات النص(مدخل الى انسجام الخطاب)، 53.

(6) النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون ، 65.

(7) ينظر: دروس في اللسانيات التطبيقية، 46.

(8) التداولية: جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، 186.

بمقتضًى عن معنى...وأما "نَظْمُ الكَلِم" فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نَظْمها آثارَ المعاني، وترَتِّيبها على حسب تَرَتُّبِ المعاني في النفس. فهو إذن نظْمٌ يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض)).[9]

نلحظ كيف ساهم سياق الكلام، ونظمه، وترتيب معانيه مساهمة فعالة في تكوين المعنى وإيصاله إلى المتلقي. وأكد الجرجاني على هذا المعنى، وعلى أن القصد ليس بتتابع الألفاظ في النطق؛ بل بانسجام وترتيب معاني الألفاظ ودلالاتها، ذاكرًا هذا بأكثر من نص، وقائلًا في أحد النصوص: ((ليس الغرضُ بِنَظْم الكَلِم، أن توالَتْ ألفاظها في النطق؛ بل أن تنَاسقت دلالتها وتلاقّتْ معانيها؛ على الوجه الذي اقتضاه العقل)).[10]

بعد إنتهاء الحديث عن السياق لغة واصطلاحًا يتيسر لنا الآن أن نقف على التعريف بالمشاركين في تكوين السياق، وفي إنتاج العملية التواصلية وهم:

1. المتكلم: وهو الجرجاني.
2. المخاطب: وهم جمهور من المتلقين والقراء.
3. وبالنسبة للواسطة التي أُنجز بها التواصل: فهي الكتابة، والكلام الذي دار بين المرسل والمرسل اليه.
4. أما الوظيفة من التواصل: هي الإخبار والتعليم.

بعد تفصيل القول في فصل الجمل ووصلها، وتأكيدها... وغيرها من التفاصيل المهمة في هذا الموضوع، قد قرر الجرجاني تقسيم الجملة بهذه المرحلة على ثلاثة أضرب، واحد هذه التقسيمات قال فيها: ((جملةٌ حالُها مع التي قبلها حالُ الصِّفة معَ الموصوف والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطفُ البتَّةَ، لِشبْهِ العَطفِ فيها، لو عُطِفَتْ، بعَطْفِ الشيء على نفسه)).[11]

---

[9] دلائل الإعجاز: 49.

[10] دلائل الإعجاز: 49؛ وينظر: المصدر نفسه، 394.

[11] دلائل الإعجاز: 243.

ومن هنا سأقف على مطالب وظفت السياق بالمعنى بحسب رؤية الجرجانيّ، لنكشف من خلالها آراء عبد القاهر الجرجاني اللغوية، في ضوء لطائف جهوده في السياق الذي يكشف عن أسرار المعنى المراد.

المطلب الاول: سياقات الجمل المؤكدة: إن العلم بمراتب الجملة، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف والاستئناف، والاستثناء، فضلاً عن كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها — صعب مستصعب، لا يقدر عليه إلا من أوتي علمًا وافرًا من النحو والبلاغة على حد سواء، وطبع على إدراك محاسنها، ورزق حظًّا من المعرفة في ذوق الكلام؛ وذلك لغموض هذا الباب، ودقة مسلكه، وعظيم خطره، وكثير فائدته، يدل لهذا أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة. من ذلك ما جاء به الجرجاني في "باب الفصل والوصل" في فقرة الجملة المؤكدة لا تحتاج إلى عاطف حيث قال: ((ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى: **{مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}** [سورة يوسف: 31]، وذلك أن قوله: **{إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}**، مشابِكٌ لقولِهِ: **{مَا هَذَا بَشَرًا}** ومُداخل في ضِمْنه من ثلاثة أوجهٍ: وجهان هو فيهما شبيهٌ بالتأكيد، ووجهٌ هو فيه شبيهٌ بالصفة. فأحدُ وجهي كونه شبيهاً بالتأكيدِ، هو أنه إذا كان مَلَكاً لم يكن بشراً، وإذا كان كذلك كان، إثبات كونه ملكاً تحقيقاً لا محالة، وتأكيداً لنفي أنْ يكون بشراً.)).[12] يتضح لنا في ضوء هذا النص المُختار بأن الآية القرآنية التي استشهد بها المتكلم وجعلها دليلًا على صحة رأيه وخطابه، قد حَملت في طيّاتها سياقًا مختلفًا في الدلالات والمعاني، وقد وقف المتكلم(الجرجاني)على تلك الدلالات المختلفة وفَصّل القول فيها، وتنقل بين أجزاء خطابه، وتدرجَ بتوضيح المعلومات وحَبْكها من خلال التنوع في السياق ومعانيه، ولِيوصِل هذه المعلومات فيما بعد إلى المتلقي ويخبره بها وهي بأتمِ وجهٍ، واليك أول سياق تخبأ في طيات النص القرآني المبارك وهو (السياق النحوي والبلاغي) [13] الذي أحالنا عليه قوله تعالى:(ما هذا بشرًا...) فهو قولٌ قد أُنجز بالجمع بين أسلوبين وهما أسلوب "النفي والاستثناء"، وأما النفي فقد حدث بحرفٍ يعمل عمل "ليس" ومؤديًا الوظيفة نفسها للحرف الأخير، أي يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وهذا الحرف هو "ما النافية" وعملها؛ حسب لغة أهل الحجاز كما قال عنها المبرد:((كذلك يفعل أهل الحجاز، وذلك أنهم رأوها[ما النافية] في معنى ليس تقع مُبتدأَة وتنفي ما يكون في الحال وما لم يقع فلما خلصت في معنى ليس ودلت على ما تدل عليه ولم يكن بين نفييهما فصل ألبتة حتى صارت كل واحدة تغني عن الأخرى أجروها مجراها ومن ذلك قول الله عز وجل{ما هذا بشرًا} و...)).[14]

---

[12] المصدر نفسه: 230.

[13] علم الدلالة: احمد مختار عمر، 69.

[14] المقتضب: المبرد، 188/4.

المطلب الثاني: سياق الاستثناء بإلا: والمراد منه((إخراج شيء مما دخل فيه غيره، أو إدخال شيء فيما خرج منه غيره، والاسم المستثنى ضد المستثنى منه)).[15]

من التعريف السابق يتضح لنا أن في النص القرآني المبارك قد خَرَّجَ نبي الله (يوسف عليه السلام) من صفة البشر إلى شيء آخر يتفرد به عن بني البشر وهي صفة كونه "ملك" لشدة جماله، ولحُسن خَلقه وبهائه. كما ذُكر في الكشاف:((كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: "مررت بيوسف الليلة التي عُرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا؟ فقال يوسف" فقيل يا رسول الله كيف رأيته؟ قال "كالقمر ليلة البدر")).[16]

أداة الاستثناء(إلا) التي قد زادت من تماسك النص؛ لأنها قربت المعنى إلى المتلقي حين قصرت الصفة (ملك كريم) على الموصوف(يوسف عليه السلم)، يكون الاسم بعدها على وجهين: أولهما أن لا يتغير الاسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق به "إلا"، وإن أدخلت الاسم في شيء نفت عنه ما سواه، وقد جيء "بإلا" لتثبت الأفعال لهذه الأسماء وتنفي ما دونها، والوجه الثاني يكون الاسم بعدها خارجًا مما دخل فيه ما قبله من الكلام.[17] وتضمنت "إلا" في الآية المباركة معنى الوجه الأول؛ لأنَّها أُدخلت الاسم في شيء جديد وذلك حين عدته عليه السلام من الملائكة ونفت عنه ما سوى ذلك. وهذا الخروج والدخول والتنقل في الفاظ ومعاني الخطاب ما هو إلا بيانٌ وتعيينٌ للشيء الجديد الذي أُدخل فيه "عليه السلام". فلاحُظ كيف عبر الجرجاني عن هذا النوع من السياق، وعن معنى النفي والاستثناء، والسبب المراد منهما، بأسلوبٍ راقٍ وبألفاظ انيقة دقيقة ومسبوكة بشكل جميل ورصين تجعل القارئ أو المُخاطب يقتنع ويأنس بها وبالمعاني والأفكار التي تضَمنتها، فقال: ((إذاَ نفي أن يكون بشراً، فقد أثبت له جنس سِواه، إذْ منَ المُحالِ أن يخرُجَ من جنسِ البشرِ، ثم لا يدخُلُ في جنسٍ آخرَ. وإذا كانَ الأمُر كذلكَ، كان إثباتُه "مَلَكاً" تبييناً وتعييناً لذلك الجنسِ الذي أريد إدخاله فيه، وإغناء عن أن تحتاج إلى أن تسأل فتقول: "فإنْ لم يكن بشراً، فما هو؟ وما جنسه؟))[18].

---

[15] اللمحة في شرح الملحة: ابو عبد الله شمس الدين، المعروف بابن الصائغ، تحقيق: ابراهيم سالم الصاعدي، 66/1.

[16] الكشاف: الزمخشري، 464/2.

[17] ينظر: الكتاب، 310/2.

[18] دلائل الاعجاز: 230.

المطلب الثالث: السياق المقامي: وهو الذي يُحيل عليه النص الشريف، هو السياق المقامي أو كما يسمونه "سياق الموقف"، ويقصد به الموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة.[19] والموقف الخارجي المحال عليه بالتعاون مع السياق اللغوي في النفي والاستثناء في قول الباري عزّ وجل هو "التعظيم والتعجب" من حسن الخُلق عند رؤيته "عليه السلام" فقد فاق جماله الوصف والتعبير، وحير عقول ناظريه. وليس بالأمر الجديد على الجرجانيّ، فقد بين لنا معنى هذا الموقف، وتواصل مع المُخاطب من خلال هذا البيان والتحليل ليوُصل ما يطمح إليه إلى المتلقي مع تحقيق مراده، و هذه الدرر كانت في الوجه الثاني الذي أطلقه عندما علق وفسر الشاهد القرآني فقال: ((الجاريَ في العرف والعادة أنه إذا قيل: ما هَذا بشراً وما هَذا بآدميٍّ" والحالُ حالُ تعظيمٍ وتعجُّبٍ مما يشاهد في الإنسانُ مِنْ حُسْنِ خلْقٍ أو خُلُق أن يكونَ الغرضُ والمرادُ من الكلام أن يقال إنه ملك، وأنه يُكْنَى به عن ذلك، حتى إنَّه يكون مفهومَ اللفظ، وإذا كان مفهوماً مِنَ اللفظ قَبْلَ أن يُذْكَر، كان ذكرهُ إذا ذُكِرَ تأكيداً لا محالَة، لأنَّ حَدَّ "التأكيدِ" أنْ تحقِّقَ باللفظِ مَعْنًى قَد فُهِمَ مِنَ لَفْظٍ آخرَ قَدْ سَبَقَ منكَ)).[20] فها هو غرض الجرجاني ورونقه قد سَطَعَ عبقه وفائدته في خطابه متسلسلًا بعدها الى حيث نفسُ المتلقي والمخاطب ليأخذ مجراه، وهنا تكون العملية التواصلية قد وصلت إلى ذروتها في النجاح وتبليغ المخاطب وأخباره والتواصل معه علميًا وثقافيًا، فضلًا عن نوعي السياق الآنف ذكرهما هناك معنى سياقي عام تضمنه خطاب المتكلم المتمثل في التوكيد. والمراد بالمعنى السياقي: بأن الكلمة قد تؤثر في معنى الجملة، وقد يحدث العكس.[21]

لاحظنا في النص المختار كيف أثَّر معنى الجملة على حرف النفي واكده وأثبت معناه و مفاد هذا النوع من السياق هو تكرار الألفاظ والجمل إذ ينتج عنه تلقائيًا تكرار في المعاني أيضًا، مؤديًا هذا التكرار بكل من الجمل ومعانيها إلى "توكيد الكلام"، وبعد ذلك فإن هذا التوكيد الذي في الجمل لا يحتاج إلى عاطف لكي يصل بينها وبين الجمل الأخرى الموجودة داخل الخطاب؛ والسبب أنها مؤكدة. وتلمسنا محتوى هذا السياق عند الجرجاني في العبارة نفسها التي تقول: ((انه [يوسف عليه السلام] إذا كان ملكًا لم يكن بشرًا، وإذا كان كذلك كان، إثبات كونه ملكًا تحقيقًا لامحالة، وتأكيدًا لنفي أن يكون بشرًا)).[22] فنلحظ من قول المتكلم كيف تم تأكيد الجمل، وإثبات معانيها مما جعلها تؤدي الغرض المطلوب وتوصل المعنى وهي مستغنية عن العطف.

---

[19] ينظر: علم الدلالة، 71.

[20] دلائل الاعجاز:229-230.

[21] ينظر: علم الدلالة(علم المعنى)، محمد علي الخولي، 69.

[22] دلائل الاعجاز: 229.

الأمر الأجدر به أن يُذكر هو ذلك التدرج في إيصال المعاني، وترابط أجزاء الخطاب فتدرج من نفي الكلام الى إثبات معنى ذلك النفي، ومن ثم الاستثناء والتوكيد مع استبعاد العاطف منه، وكل هذا الذي قد حصل ساعدنا السياق في الوصول إليه، ومن ثَم التواصل به مع المتلقي. وتحدث عن هذا التدرج والتعدد في أساليب السياق كل من سبربر وولسن في مقاربتهما وهي: ((اعتبارهما بأن السياق ليس أمرًا معطى دفعة واحدة، إنما يتشكل قولًا إثر قول)).[23]

فها هو الجرجانيّ قد ربط بين النحو والبلاغة، و وظَّف الأساليب النحوية لإظهار المعنى البلاغي من أجل فهم السياق الذي تضمنه النص.

المطلب الرابع: سياقات الإضمار والحذف: وَيُؤَكِّدُ أغلب النُحَّاةِ والبَلاغيِيْنَ أَنَّ بلاغةَ الكَلامِ وَدَلالاتِهِ على المعاني إِنَّما تَكْمُنُ فِيْ الحَذف والاضمار، لما له من تأثير مباشر في سياق الكلام يؤدي إلى جَزَالَةَ الأسْلُوْبِ، فالذف هو الاسقاط، والإضمار هو إسقاط وإخفاء، وعليه يكون الحذف أعم من الإضمار، يذكر الجرجاني: ((اعلم أن ههنا باباً من الإضمار والحَذْف يُسمَّى "الإضمار على شريطةِ التفسير"، وذلك مثل قولهم: "أكرمني وأكرمتُ عبدَ اللهِ"، أردتُ: "أكرمني عبدُ الله، وأكرمتُ عبدَ الله"، ثم تركت ذكره في الأولِ استغناءً بذكره في الثاني. فهذا طريقٌ معروف ومذْهَب ظاهرٌ، وشيءٌ لا يُعْبَأُ به، ويُظَنُّ أنه ليس فيه أكثُ مما تُريك الأمثلة المذكورة منه وفيه إذا أنْتَ طلبتَ الشيءَ من مَعْدِنِه من دقيق الصنعة ومن جليل الفائدة، ما لا تجدُه إلا في كلام الفحول)).[24]

قبل البدء في الحديث عن إظهار المعاني والسياقات التي يحملها هذا الخطاب لابد لنا أنْ نذكر شيئًا مهمًا وهو أن المعنى في رأي بعض النظريات لا يُحدد إلا بالنظر إلى السياق الذي تقع فيه الكلمة.[25] وفي النص المختار نجد المعنى العام له قد يتوصل إليه من خلال السياق اللغوي الذي تمثل في ضمير(الهاء) المتصل بحرف الجر(من)، حيث احالنا هذا الضمير المتصل إلى معنى عام وهو: حذف المفعول من الفعل وخلوه منه، وهذا الحذف خفي قد دخلته الصَّنعة، وهذه الصَّنعة اللطيفة تكمن في "الإضمار على شريطة التفسير".[26] ولم تقتصر عملية اظهار المعنى الى المتلقي على هذا السياق اللغوي الذي تمثل في الإحالة

---

[23] التداولية اليوم علم جديد في التواصل: 77.

[24] دلائل الإعجاز: 163.

[25] ينظر: الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، 205.

[26] ينظر: دلائل الإعجاز، 155.

الخارجية فقط، بل عدَّاها إلى سياقٍ لغويٍ آخر ألا وهو (المفعول به المحذوف) في المثال(اكرمني وأكرمت عبد الله)، فهذا التركيب النحوي قد فُسِّر وتبين لنا معناه وموقعه، من خلال سياق الحال المتمثل في المفعول به (عبد الله) للفعل (اكرمت)؛ ولأن الحال أو الكلام بطبيعته يتطلب وجود طرفين، وفي هذا النص حذف احد الطرفين لوضوح المعنى المتعلق به في الطرف المذكور. وقال د. فاضل السامرائي عن هذا النوع من الحذف:((يشترط النحاة لصحة الحذف وجود دليل مقالي أو مقامي وأن لا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي يقتضي عدم صحة التعبير في المعيار النحوي)).[27] نظرًا لِما حاز عليه السياق من أهمية، وموقفه في الخطاب تسنى لنا الوصول عن طريقهِ إلى حدثٍ كلامي آخر غير مباشر ضمنه المرسِل في قوله: ((وفيه إذا أنْتَ طلبتَ الشيء من مَعْدِنِه من دقيق ألصَّنْعة ومن جليل الفائدة، ما لا تجدُه إلا في كلام الفحول)).[28] فالمقَصود بهذا القول هو "الحذف"، أما المعنى المجازي الذي تضمنه فهو مدح وتعظيم قيمة الحذف والاضمار، وعده من شجاعة القول ورصانته التي كان يكتسبها فحول العرب آنذاك، ومن امتلك هذه الخصال فقد يُعد فحلًا من الفحول؛ لأن الحذف يحتاج العناية والتركيز والغور في دقائق اللغة من أجل الوصول إلى رسالة المتكلم، وهدفه المنشود من ذلك.

المطلب الخامس: سياقات التراكيب والمعاني: ارتكز النص على التراكيب والمعاني التي تم التوصل إليها من خلال السياق مما جعل ألفاظ الخطاب منسجمة ومترابطة ومؤدية وظيفتها المرادة وقال فيرث الكثير في هذا الصدد: ((إن الوقت قد حان للتخلي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة والنظر إليه على أنه مركب من العلاقات السياقية)).[29] مع ذلك نلحظ أن خطاب الجرجانيّ (أعلم أن ههنا بابًا...)، قد أَنجر بحدث كلامي مباشر أوصلنا إليه فعل الأمر "اعلم"، وسياق هذا الحدث هو تعليم المخاطب وإخباره بقصد المتكلم، وحتى يتم تبليغ الرسالة والتواصل مع المرسل إليه بيُسرٍ ونجاح. إذن لا يوجد طلب من المرسل؛ بل هو إخبار وبفضل السياق وأهميته بانت لنا كل هذه الدلالات. ونقل الجاحظ قولًا عن أهمية السياق بأنواعه كافّة، والقول نقلًا عن بشر بن المعتمر:((المعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة. وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال)).[30]

---

[27] الجملة العربية تأليفها واقسامها: فاضل صالح السامرائي، 76.

[28] دلائل الإعجاز: 163.

[29] مدخل الى اللسانيات: محمد محمد يونس علي، 79.

[30] البيان والتبيين: الجاحظ، 129/1.

وهذا نفسه يُسمى "سياق الحال"، الذي تحدث عنه وبينه "فيرث" وأورد ذكره دكتور محمود سعران في كتابه قائلًا فيه: ((إن سياق الحال جملة من العناصرِ المكونة للموقف الكلامي (أو للحال الكلامية)، ومن هذه العناصر: شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع ـ إن وجدوا ـ وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، وكذلك العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، وأثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع، أو الألم...ويتضح أن من أهم خصائص "سياق الحال" إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في "الموقف الكلامي")).[31]

نلحظ أيضًا أن المتكلم قد استعمل إحدى عناصر سياق الحال المكونة للموقف الكلامي التي تحدث عنها "فيرث" مسبقًا وهو "الاقناع" من خلال ((الوظيفة التعبيرية))[32] وكيف أثر النص الكلامي في المتلقين، أما المشاركين في سياق هذا النص، من متكلم، ومخاطب، والواسطة، هي نفس العناصر التي ذكرناها في النص الاول باستثناء الوظيفة من التواصل لهذا النص فهي: التعليم والإخبار، والأقناع.

هناك شيء مهم بانت لنا شذراته من خطاب المتكلم "الجرجاني" والحديث عن استعماله السياق المتنوع بحسب مقتضى الحال للنص، وهذا الشيء هو "الأسلوب" فقد امتلك هذا المتكلم اسلوبًا فذًا، جعل كل من يقرأ كلامه يُعجب به ويشاركه فيه، مما جعل هذ الأمر خطابه مضبوطًا، ورصيناً ومنسجمًا–وسهلًا ممتنعًا–؛ لأنه استعمل الأسلوب الأمثل للتواصل مع المخاطَبين. وأوضح د.محمد ناصر كيفية ضبط الأسلوب بنوعيه المباشر وغير المباشر فقال: ((فضبط كون الاسلوب مباشرًا أو غير مباشر في غاية الاهمية، حيث يجب التدقيق والتأكيد من صحة قولنا للولد مثلًا: ذاكر دروسك (بصيغة الامر مباشرة)، ومتى يقال له: المذاكرة مفيدة،... إن هذا مرهون بملاحظة أمور متعددة، كالحالة العمرية والنفسية والزمان والمكان، والأحداث المصاحبة لتلك المقولة إلى غير ذلك من العناصر التي تستدعي اختيار أي الأسلوبين أفضل، لكونه الأنسب للشخص))[33]

فالجرجاني نجده قد راعى حالات الأشخاص العمرية والنفسية، والأحداث المصاحبة لقوله، وإلا لم يحرز على تلك المرتبة الرفيعة والإمكانية الثقافية المتنوعة، فقد يصل إلى نفس المتلقي بأسلوبه العذب الدقيق وبألفاظ يسيرة.

---

(31) علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي): 311؛ وينظر: العربية وعلم اللغة الحديث، 199.

(32)اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات : مصطفى غلفان، 231.

(33) سلطان اللغة: 48–49.

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من النتائج نوجزها بالآتي:

1- توصلت الدراسة إلى أن منتجي العملية التواصليةهم: المتكلم: وهو الجرجاني، والمخاطب: وهم جمهور من المتلقين والقراء، وبالنسبة للواسطة التي أُنجز بها التواصل: فهي الكتابة، والكلام الذي دار بين المرسل والمرسل اليه.، أما الوظيفة من التواصل: هي الإخبار والتعليم.

2- وقف الجرجاني على دلالات مختلفة في بيان مراد قوله تعالى {مَا هَذَا بَشَرًا} وفَصّل القول فيها، وتنقل بين أجزاء خطابه، وتدرجَ بتوضيح المعلومات وحَبْكها من خلال التنوع في السياق ومعانيه، ولِيوصِل هذه المعلومات فيما بعد إلى المتلقي ويخبره بها وهي بأتمِ وجهٍ.

3- توصلت الدراسة إلى الوقوف على التدرج في إيصال المعاني، وترابط أجزاء الخطاب فتدرج من نفي الكلام الى إثبات معنى ذلك النفي، ومن ثم الاستثناء والتوكيد مع استبعاد العاطف منه، وكل هذا الذي قد حصل ساعدنا السياق في الوصول إليه، ومن ثَم التواصل به مع المتلقي.

4- أكدت الدراسة أن الجرجاني قد راعى حالات الأشخاص العمرية والنفسية، بأسلوبه العذب الدقيق وبألفاظ يسيرة.

النظرية السياقية وأثرها في توجيه المعنى المراد عند الجرجاني (ت: 471هـ)

م.م زينة كريم علوان

المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر:1423هـ.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول و جاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس _ د. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، نُشر تحت أشراف جان اوي شليغل، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، الطبعة الاولى، تموز(يوليو) 2003.
- التداولية، جورج يول، ترجمة: الدكتور قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الامان الرباط، الطبعة الأولى، 1431هـ_ 2010م.
- التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية ونظرية رومان جاكبسن)، الطاهر بن حسين بومزبر، استاذ اللسانيات جامعة جيجل – الجزائر، الطبعة الاولى 1428هـ-2007م، الدار العربية للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف –بيروت.
- الجملة العربية(تأليفها وأقسامها)، الدكتور فاضل السامرائيّ، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان_ الاردن، الطبعة الثانية، 1427هـ_ 2007م.
- العربية وعلم اللغة الحديث، د. محمد محمد داود، كلية التربية_ جامعة قناة السويس الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع_ القاهرة، 2010.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ – 1988م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1407هـ.
- الكلمة في اللسانيات الحديثة، الدكتور عبد الحميد عبد الواحد، الطبعة الأولى جانفي 2007، صفاقس_ يونس، التوزيع: قرطاج للنشر والتوزيع.
- اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، د. مصطفى غلفان، الطبعى الاولى 2013، دار الكتب الجديدة المتحدة.

📖 اللسانيات ونظرية التواصل (رومان ياكوبسون نموذجًا)، عبد القادر الغزالي، الطبعة الاولى– 2003، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع _ سوريا_ اللاذقية.

📖 اللمحة في شرح الملحة: أبو عبد الله شمس الدين، المعروف بابن الصائغ، تحقيق: ابراهيم سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

📖 المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة، الناشر: عالم الكتب بيروت.

📖 النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، فاطمة طبال بركة، ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت _ الحمرا، الطبعة الأولى 1413هـ– 1993م.

📖 دروس في اللسانيات التطبيقية، الأستاذ صالح بلعيد، دار هممة للطباعة والنشر والتوزيع_ الجزائر.

📖 دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م.

📖 سلطان اللغة، أ.د محمد ناصر الشهري، جامعة الملك سعود بالرياض، مدار الوطن للنشر، الطبعة الاولى، 1433هـ_ 2012م.

📖 علم الدلالة، الدكتور أحمد مختار عمر، استاذ علم اللغة_ كلية دار العلوم.

📖 علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دكتور محمد سعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر_ بيروت.

📖 لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت

📖 لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابيّ، الطبعة الأولى، 1991، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت_ لبنان.

📖 مدخل إلى اللسانيات، الدكتور محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدد المتحدة ليبيا، الطبعة الأولى، حزيران يونيو، 2004.

📖 مدخل إلى اللسانيات، الدكتور محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدد المتحدة ليبيا، الطبعة الأولى، حزيران يونيو، 2004.